

من كتاب: تزييف الوعي البشري، وإنذارات الانقراض (12) بعض فكر يحيى الرخاوي (1)

تصالح مع الذات؟ أم تكامل الذات؟



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2020/04/05

المسبة الثانية عشرة - العدد: 4600

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

(2)

يزعم أفلاطون أنه "مثل الفرد مثل الدولة"، وهو حين رسم جمهوريته بكل ما لها وما عليها، يشير إلى أنه إنما يرسم النفس البشرية أساسا، ولكنه مضطر أن يقوم بتكبيرها حتى تبدو جمهورية لعله يستطيع من خلال رسم طبقاتها وعلاقاتها ببعضها البعض أن يوصل فكرته - عن النفس - من خلال هذا التكبير المضاعف، ثم إنه راح يتحرك بين الفرد والدولة، جيئة وذهابا معظم الوقت، تهربا أو إيضاحا.

خطر ببالي مؤخرا أن البدء بالعكس يمكن أن يكون أولى، وذلك بعد ما وصلنا كم من المعارف عن النفس الانسانية يمكن أن نجعله قياسا لما يجري خارجها، على مستوى الجماعة و العالم.

أعرف ما يؤكد عليه علم نفس الجماعة وعلم النفس الاجتماعى من ضرورة التمييز بين قوانينهما وبين قوانين علم النفس الفردى، ومع ذلك فإننى ما زلت أميل إلى تصور أقرب إلى الحدس الأفلاطونى منه إلى هذا التحذير المميز.

إن التطور الأحدث لمفهوم الذات يشير إلى عدة مبادئ لا غنى عن سردها فى البداية ونحن بسبيلنا إلى نقد فكر "التصالح" التسوياتى للتحذير من الاستسلام لفكرة "الهلوسطية" سواء مع الذات أو مع الآخر، أو حتى بين الدول، أتعمد استعمال هذا اللفظ المنحوت "الهلوسطية"، لما يصلنى منه من قبح "القص واللصق".

خدايم التسكين بالتصالح

كثر الحديث مؤخرا عن التصالح، والتسوية، والحوار، وقبول الآخر، وهو حديث دمث يبدو وكأنه يمكن أن يريح جميع الأطراف، لكنه فى عمقه قد يثبت أنه حل باهت لا يدفع حركة ولا يحدد موقفا، بل إنه كثيرا ما يكون خدعة لصالح الأقوى الذى هو ليس بالضرورة الأفضل، يبدأ مثل ذلك فى شكل

يزعم أفلاطون أنه "مثل الفرد مثل الدولة"، وهو حين رسم جمهوريته بكل ما لها وما عليها، يشير إلى أنه إنما يرسم النفس البشرية أساسا، ولكنه مضطر أن يقوم بتكبيرها حتى تبدو جمهورية لعله يستطيع من خلال رسم طبقاتها وعلاقاتها ببعضها البعض أن يوصل فكرته - عن النفس - من خلال هذا التكبير المضاعف

أعرف ما يؤكد عليه علم نفس الجماعة وعلم النفس الاجتماعى من ضرورة التمييز بين قوانينهما وبين قوانين علم النفس الفردى، ومع ذلك فإننى ما زلت أميل إلى تصور أقرب إلى الحدس الأفلاطونى منه إلى هذا التحذير المميز.

فى البداية ونحن بسبيلنا إلى نقد فكر "التصالح" التسوياتى للتحذير من الاستسلام لفكرة "الهلوسطية" سواء مع الذات أو مع الآخر، أو حتى بين الدول، أتعمد استعمال هذا اللفظ المنحوت "الهلوسطية"، لما

يطلبني منه من قبح "الفص
واللصق".

مفاوضات أو حوار في جو من افتراض حسن النية، وشيء من الحذر، وما تيسر من حسابات الممكن، وينتهي بالمعاهدات أو البيانات أو المواثيق التي تعلن أن "الجميع بخير وعمل لهم اللازم، ما دامت" السلامة أولاً"، وليس هذا هو التصالح المأمول.

تساؤلات حول التصالح مع الذات

هل يملك أى منا ذاتا واحدة، أم عدة ذات؟

وما هي حكاية البحث عن الذات ؟ لإقرارها؟

هل الذات هي كيان محدد مفقود نبحت عنه فنجده، أم أنها مشروع نسعى في اتجاهه فنخلقه؟

وهل المطلوب - إذن- كما يشاع في معظم العلم، وعند أغلب العامة . هو تحقيق الذات أم تواصل

إبداع الذات، امتلاءً وتجديداً وامتداداً؟

إن أوهام أن يكون لك ذات محددة، جاهزة، (أو بالتعبير الأحدث: سابقة التجهيز- Pre)
(fabricated)، متميزة عن الآخر وما عليك إلا أن تجدها أو تحققها هي شائعات شبه علمية لا أكثر.

إن البديل الأحدث لهذا الزعم الذي اهتز مؤخرا يمكن أن نلخص خطوطه العريضة فيما يلي:

أولاً: يولد الإنسان وهو يحمل مشروعا متكاملا لشخص متميز فعلا من واقع برامج الجينات التي يحملها من والديه الذين يبلغونه - بإنجابه وتحميله برامج أجداده البيولوجية - تاريخ أجداده الأقربين (تمييزا عن سواهم من البشر) والأبعدين (تمييزا عن سواهم من الأحياء جميعا).

ثانياً: مشروع الذات المتفردة هذا ليس تخطيطا مبرمجا مؤمنا عليه بداية ونهاية، لكنه مشروع مرن: له بداية محددة ونهاية مفتوحة، نهاية قابلة للتعرج، والتجدد، والتخليق باستمرار.

ثالثاً: يقوم الوسط المحيط (الأسرة فالمجتمع بما في ذلك الدولة) بالاعتراف بهذا المشروع من حيث المبدأ، وذلك بتقديم الرعاية الأولية، والفرص الأساسية. كل بحسب درجة نموه ووفرة إمكانياته.

رابعاً: مع تمداد حصول الفرد على الفرص الضرورية، أو الحرمان منها، يتولد الوعي الخاص بالتدريج لتتواصل مسيرة النمو باستمرار Always in - the - making

خامساً: إن هذه الذات المتخلقة التي لا تكتمل أبدا في صورتها الفريدة تبدو وكأنها اكتملت مستقرة في بعض فترات النمو، فترات تطول أم تقصر، لتبدأ من جديد في دورة نمو جديدة، وهكذا.

سادساً: لا توجد للشخص الواحد ذات واحدة، إن ما يبدو على ظاهر الوعي والفعل أن هذا الشخص ليس إلا إعلان أن إحدى الذات دون غيرها - في لحظة بذاتها- هي التي تقود وتوجه جماع الذات الأخرى الكامنة في تلك اللحظة.

سابعاً: إن مفهوم تعدد الذات (تعدد حالات الذات) في الشخص الواحد، يتجاوز ويصحح المفهوم التحليلي النفسي التقليدي، الذي يقوم بتشريح النفس (إلى: ما هو "أنا"، و"أنا أعلى"، و"هو") إن النفس البشرية هي عدة ذات معا وليست مجموع أجزاء، مغلفة بما يسمى "الأنا".

كثير الحديث مؤخرا عن التصالح، والتسوية، والحوار، وقبول الآخر، وهو حديث دمهش يبدو وكأنه يمكن أن يربح جميع الأطراف، لكنه في عمقه قد يثبت أنه حل باهت لا يدفع حركة ولا يحدد موقفا

وما هي حكاية البحث عن
الذات ؟ لإقرارها؟

هل الذات هي كيان محدد
مفقود نبحت عنه فنجده، أم
أنها مشروع نسعى في اتجاهه
فنخلقه؟

يولد الإنسان وهو يحمل مشروعا متكاملا لشخص متميز فعلا من واقع برامج الجينات التي يحملها من والديه الذين يبلغونه - بإنجابه وتحميله برامج أجداده البيولوجية - تاريخ أجداده الأقربين

مشروع الذات المتفردة هذا ليس تخطيطا مبرمجا مؤمنا عليه بداية ونهاية، لكنه مشروع مرن: له بداية محددة ونهاية مفتوحة، نهاية قابلة للتعرج، والتجدد، والتخليق باستمرار.

يقوم الوسط المحيط (الأسرة فالمجتمع بما في ذلك الدولة) بالاعتراف بهذا المشروع من حيث المبدأ، وذلك بتقديم الرعاية الأولية، والفرص الأساسية. كل بحسب درجة نموه ووفرة إمكانياته.

ثامنا: يتم التبادل بين الذوات المختلفة بشكل تلقائي: سواء بطريقة إيقاعية بيولوجية منتظمة (كما ينظمها الإيقاع الحيوي بين النوم والحلم واليقظة)، وأيضا حسب المواقف والمتطلبات المتنوعة في كل حال، ووسط، ومطلب، فتسود الذات الطفلية، مثلا في اللعب الحر والإجازات، وتسود الذات الوالدية في المواقف التي تستدعي الحنو والرعاية (حتى حنو الطفلة على دميها العروسة)، كما تسود الذات اليافعة للقيام بأداء الالتزامات لكسب العيش وحسابات الواقع مثلا.

تاسعا: إن هذا التبادل، مع ضرورته وروعته، ليس نهاية المطاف، ولا هو غاية المراد، ولكنه الوسيلة الطبيعية (البيولوجية/ النفسية) التي تسمح بأن يتخلق - باضطراد- مشروع الذات النامية الدائبة السعي إلى مزيد من التكامل مفتوح النهاية.

عاشرا: إن بعض مظاهر تكامل الذوات قد يتجلى مؤقتا عند من تتاح له الفرصة، ويحذق الأدوات، في شكل إبداع أصيل، ويظل هذا الاحتمال واردا بديلا عن التكامل الوجودي النامي، أو تسهيلا له.

التصالح مقابل التكامل

أين يقع التصالح مع الذات في كل هذا؟ وكيف يمكن أن يكون التصالح تكاملا؟

التصالح عمل إيجابي من حيث المبدأ، شريطة ألا يكون تنازلا ساكنا، أو حلا دائما خاملا، إن الترويج لمسألة التصالح هذه بشكل غير دقيق، وغير تفصيلي تحتاج منا إلى وقفة ومراجعة.

على العكس من ذلك فإن التكامل هو تفاعل إيجابي دائما حيث يتم من خلاله تفعيل مواجهة كل مستوى مع المستوى الآخر في حيوية متصاعدة، إنه تصنيع متضفر لجديد يتشكل من خلال العلاقات المتفاعلة مع بعضها البعض.

لا يمكن أن يصل بنا الحذر من سكون التصالح لدرجة رفضه كلية باعتباره العملية الأدنى الأقرب إلى السلبية. إنه قد يكون التمهيد الضروري للتكامل، أي أنه قد يكون خطوة أساسية لا تتم الخطوات التالية نحو التكامل إلا بالمرور بها، ولو على فترات متباعدة، حسب إيقاع دورات النمو.

أشكال للتصالح

سوف أقصر حديثي المبدئي أساسا على مراحل التصالح فالتكامل بين الذوات، ثم أحاول تطبيقها على نماذج الجماعة، فالدول، فالعالم.

لا يتم تصالح إيجابي إلا من خلال الحركة والتغير معا، إن الحركة وحدها لا تكفي حيث لا تعتبر إيجابية وبناءة إلا إذا كانت في سياق يحقق التمهيد إلى، ثم تحقيق، التغير الذي لا يمكن أن يتم إلا من خلال الحركة.

من هنا يكون التصالح الساكن (الهلوسط) هو التجمد المضاد لاحتمية النمو ومتطلباته، حتى لو بدا السطح ساكنا أو راضيا، فهو ليس تصالحا، وإنما هو خمود وتسكين لصالح الأقوى عادة.

أما التصالح الذي يتفق مع الحركة فيحقق التغير فهو الذي يتم بالتبادل والتناوب والتفاعل أولا، تمهيدا للتكامل، وليس بالتنازل أو بالانتقاص من كل من الطرفين.

مع تمادي حصول الفرد على
الفرص الضرورية، أو الحرمان
منها، يتولد الوعي الخاص
بالتدرج لتتواصل مسيرة النمو
بإستمرار Always in – the
– making

إن هذه الذات المتخلقة التي
لا تكتمل أبدا في صورتها
الفريدة تبدو وكأنها اكتملت
مستفزة في بعض فترات النمو،
فترات تطول أو تقصر، لتبدأ
من جديد في دورة نمو
جديدة، وهكذا.

لا توجد للشخص الواحد ذات
واحدة، إن ما يبدو على ظاهر
الوعي والفعل أن هذا الشخص
ليس إلا إعلان أن إحدى
الذوات دون غيرها - هي
لحظة بذاتها- هي التي تفرد
وتوجه جماع الذوات الأخرى
الضامنة هي تلك اللحظة.

إن مفهوم تعدد الذوات
(تعدد حالات الذات) في
الشخص الواحد، يتجاوز ويصبح
المفهوم التحليلي النفسي
التقليدي، الذي يقوم بتشريح
النفس (إلى: ما هو "أنا"، و"أنا
أعلى"، و"هو") إن النفس
البشرية هي عدة ذوات معا
وليست مجموع أجزاء، مغلفة بما
يسمى "الأنا".

يتم التبادل بين الذوات
المختلفة بشكل تلقائي: سواء
بطريقة إيقاعية بيولوجية منتظمة
(كما ينظمها الإيقاع الحيوي
بين النوم والحلم واليقظة)،
وأيضا حسب المواقف
والمتطلبات المتنوعة في كل

إن هذا التبادل، مع ضرورته ووروعته، ليس نهاية المطاف، ولا هو غاية المراد، ولكنه الوسيلة الطبيعية (البيولوجية/ النفسية) التي تسمع بأن يتخلق - باضطراب - مشروع الذات النامية الدائبة السعى إلى مزيد من التكامل متنوع النهاية.

لا يتم تصالح إيجابى إلا من خلال الحركة والتغير معا، إن الحركة وحدها لا تكفى حيث لا تعتبر إيجابية وبناءة إلا إذا كانت فى سياق يحقق التمهيد إلى، ثم تحقيق، التغير الذى لا يمكن أن يتم إلا من خلال الحركة.

أما التصالح الذى يتفق مع الحركة فيحقق التغير فهو الذى يتم بالتبادل والتناوب والتفاعل أولا، تمهيدا للتكامل، وليس بالتنازل أو بالانتقاص من كل من الطرفين.

إن ما يسمى "الصراع" ليس مرضا أو عيبا، إنه إعلان مرحلة صعبة ضرورية وهو لا يحله التصالح الساكن، أو التنازل الحلوسطى، وإنما يُحل باحتواء شقيه فيما يسمى "جدل المواجهة" الذى يهدف إلى تخليق المستوى الأعلى بما يحقق من اضطراب مسيرة النمو.

سوء فهم "النفس المطمئنة": شاع مؤخرا تفسير للنفس المطمئنة باعتبار أنها النفس المادنة الساكنة حتى أكاد أقول الآسنة، حتى فهم البسطاء من العامة أن النفس المطمئنة هى الراضية بمعنى

لكن: لو أن التبادل ظل مجرد إعادة الأدوار كما هى، فإن الحركة مهما تستمر، لا تساهم فى التكامل، ومن ثم فإن "التصالح بالتبادل" لا يكون إيجابيا إلا إذا كان تمهيدا لخطوات التكامل حيث الأطراف المتبادلة ليست منفصلة فى دوراتها المتلاحقة.

إن ما يسمى "الصراع" ليس مرضا أو عيبا، إنه إعلان مرحلة صعبة ضرورية وهو لا يحله التصالح الساكن، أو التنازل الحلوسطى، وإنما يُحل باحتواء شقيه فيما يسمى "جدل المواجهة" الذى يهدف إلى تخليق المستوى الأعلى بما يحقق من اضطراب مسيرة النمو.

تصالحات ساكنة مرفوضة

(1) سوء فهم "النفس المطمئنة": شاع مؤخرا تفسير للنفس المطمئنة باعتبار أنها النفس الهادئة الساكنة حتى أكاد أقول الآسنة، حتى فهم البسطاء من العامة أن النفس المطمئنة هى الراضية بمعنى السكون الصامت. إن هذا التفسير السلبي، يكاد يتجاهل أن هذه الدعوة للنفس المطمئنة إنما أطلقت فى سياق ختام رحلة العودة "إرجعى إلى ربك"، وأن على هذه النفس أن تمر على "عباد الله سبحانه" بأن "تدخل فيهم"، "أدخلى فى عبادى"، وهى فى طريقها إلى الجنة "وأدخلى جنتى"، إن كل ذلك بالإضافة إلى ما نعرفه من جهاد النفس الذى هو أكبر من الجهاد الظاهر فى الحرب مثلا، ينبه إلى أن المفهوم التسكينى للتصالح هنا هو ضد حركية التكامل.

إن النفس المطمئنة تكون كذلك بقدر اتساقها مع هارمونية الجماعة ومع لحن الكون الأعظم فى رحاب الله، وليس بقدر سكونها واستكانتها.

من هذا المنطلق تصبح الدعوة إلى أن تكون النفس مطمئنة، هى دعوة إلى اتساق نغمتها المنفردة مع اللحن الأشمل، وليس إلى سكونية استقرارها فى الرضا المستسلم.

(2) قبول الآخر: حين يكون هدف الحوار بين "الأنا" و"الآخر" هو التنازل لتجنب الدخول فى مناطق الاختلاف، وهو ما شاع أخيرا باسم "قبول الآخر"، فإن الناتج هو تباعد ساكن لا أكثر، الأمر الذى أتصوره مثل تعقيب أولاد البلد حين تحاول صديقة إقناع صديقة لها بقبول خطيب ثقيل الظل، بأن تعصر عليه ليمونة. إن قبول الآخر بهذا المعنى هو تأجيل لمعركة أصعب، وربما أقدر، إنه كما سيضيع مفعول عصير الليمون من على الخطيب الثقيل بمرور الأيام، سوف تتكشف أية معونات أو رشاوى أو وعود عن تلفيقات التصالح بين الجماعات والدول بمجرد بداية اختبارها بمرور الزمن. حينئذ سوف تتصادم المصالح وتتناطح الأيديولوجيات والأديان، لحساب الأقوى دائما.

(3) سلام السلامة: إن السلام بمعنى فض الاشتباك الساخن لالتقاط الأنفاس بهدف التفرغ للتوجه لإعادة البناء هو تصالح يمكن أن يقبل فى سياق تفاهم شامل ممتد متغير تحت مظلة العدل. أما السلام الذى يكون هدفه الحفاظ على الأرواح (أو الأجساد بلا أرواح) بأى ثمن، فهو التصالح الذى يحتاج كل الحذر، إن معاهدات السلام ما لم تكن بداية جهاد أكبر بزخم التكامل وحركيته، تصبح تسكينا مخادعا من

(4) الصحة بالبلاهة: إن غلبة الترويح - في مجال الطب النفسى المعاصر - للحصول على نوع من الصحة عن طريق تعاطى المهدئات المطمئنة، ومزيلات الألم إنما يقمّ نوعا من الصحة الخاملة، وهى التى تروج لها شركات الدواء ليل نهار، إن هذا النوع من الهدوء الظاهرى يصل أحيانا إلى معادل الموت النفسى رغم لافتات التعافى والخلو من الأعراض.

(5) تفرغ ما بالداخل: على الجانب الآخر، نجد أن المفهوم الشائع عن التحليل النفسى (والعلاج النفسى)، بمعنى التفرغ، والفضفضة، واسترجاع نقط التثبيت المؤلمة لتسكينها، هو أسلوب مبنى على نوع من التصالح الذى يقال له أحيانا فك العقد، هذا النوع قد يحقق خفض التوتر، لكن التوقف عنده هو ضد حقيقة إطلاق مسيرة النمو للتكامل.

(6) الوسطية التليفقية: إن التركيز على ما يسمى الوسطية، فى شرح بعض الأديان، يمكن أن يكون تصالحا ظاهريا أكثر منه تكاملا واعدا، مثال ذلك ما ذهب إليه كثير من التفسيرات التليفقية لما يعنيه التنزيل الحكيم من وصف أمة المسلمين بأنها "أمة وسطا". لقد وقع توفيق الحكيم فى هذه التصالحية الخاملة فى الطبعة الأخيرة لما أسماه "التعادلية"، فراح يلصق بالإسلام فلسفته الباهتة الخاملة، وكأنه أتى بالجديد، حتى كدت لا أصدق أنه هو المبدع الخاطر الذى استوعب السيرة النبوية حتى حدثها فى مسرحيته الرائعة "محمد".

(7) الحل الثالث: على نفس المنوال ظهرت حلول اقتصادية، وأحيانا سياسية، تحت مسميات تشترك فى تسميتها بـ"الحل الثالث"، إن كثيرا منها ليس إلا تسويات حلوسية مائعة، لا تحمل إبداعا يقدم حلا أصيلا فعلا.

التكامل جدل إبداعي مستمر

*الذات ليست كيانا مفقودا نبحث عنه فتجده، بل مشروع نسعى فى اتجاهه لنكونه ونتشكل به فنجدده باستمرار.

التصالح مع الذات، لا يتم بطغيان وعى ظاهر على "لاوعى" كامن، ولا بطغيان النصف الطاغى من المخ (النصف الأيسر فى الشخص الأيمن مثلا) على النصف المتتحى، ولا بطغيان العقل الأحدث (الرمزى/التجريدى/ المنطقى/ الحرفى) على العقول الأقدم (الكلية/الصورية/ذات المعرفة الكلية)، وإنما يتم بتنشيط آليات التقاهم والتبادل والجدل بين النصفين الكرويين نحو تكامل محتمل.

لا يمكن للأحدث أن يستوعب الأقدم بإلغائه أو تهميشه أو كبته، وإنما بالتبادل معه اعترافا، واحتياجا، ثم بالتفاعل، ثم بالجدل، ثم يتخلق الأحدث منهم معا.

إن هذا التكامل المحتوى يشمل تصالحا حتميا دون إلغاء أو إهمال أى من جانبي الصراع والمواجهة.

هذا التفسير السلبي، يكاد يتجاهل أن هذه الدعوة للنفس المطمئنة إنما أطلتكم فى سياق ختام رحلة العودة "إرجعى إلى ربك". وأن على هذه النفس أن تمر على "عباد الله سبحانه" بأن "تدخل فيهم". "أدخلى فى عبادى"، وهى فى طريقها إلى الجنة "وأدخلى جنتى"

إن النفس المطمئنة تكون كذلك بقدر اتساقها مع هارمونية الجماعة ومع لحن الكون الأعظم فى رحاب الله، وليس بقدر سكونها واستكانتها.

من هذا المنطلق تصبح الدعوة إلى أن تكون النفس مطمئنة، هى دعوة إلى اتساق بغممتها المنفرجة مع اللحن الأشمل، وليس إلى سكونة استقرارها فى الرضا المستسلم.

قبول الآخر: حين يكون هدفه الحوار بين "الأنا" و"الآخر" هو التنازل لتجنبه الدخول فى مناطق الاختلاف، وهو ما شاع أخيرا باسم "قبول الآخر"، فإن الناتج هو تباعد ساكن لا أكثر

سلام السلامة: إن السلام بمعنى فض الاشتباك الساخن للتقاط الأنفاس بهدف التفرغ للتوجه لإعادة البناء هو تصالح يمكن أن يقبل فى سياق تقاهم شامل ممتد متغير تحته مظلة العدل

الصحة بالبلاهة: إن غلبة الترويح

طريق التكامل الفردي

في نظرية التحليل النفسي التفاعلاتي (Transactional analysis إريك بيرن Eric Berne) يستمر التبادل بين الذات الطفلية والذات الوالدية والذات اليافعة طول الوقت، نحو أن يتكون قرب اكتمال النضج مشروع ذات نامية تسمى اليافع المتكامل Integrated Adult هي ذات تقترب من النضج الذي لا يتحقق خلال حياة الفرد أبدا باعتبار أنها عملية مفتوحة النهاية دائما. هذه الذات الناضجة تحتوى سمات إيجابيات الفطرة (الذات الطفلية)، وقد أسماها إريك بيرن Pathos، بما يمكن ترجمته إلى "الوجدانية" (وليس الانفعالية)، كما أنها تشتمل على سمات والدية أقرب إلى الحكمة الواقعية (الذات الوالدية) دون وصاية أو موقف فوقى نصائحي، وقد أسماها إريك بيرن Ethos مما يمكن أن ننحت له كلمة مناسبة مثل "الحكْمِيَّة" إن هذا الناضج المتكامل يظل في دورات نمو مستمرة، أى في تخلق باستمرار Always in-the-making وهذا هو التصالح الحقيقي المتجدد الذي هو تكامل يتخلق باستمرار.

من الفرد إلى العالم

استلهاما من أفلاطون، يمكن أن نتخذ ما يجرى للنفس الإنسانية من أطوار نمو: نموذا قابلا للتحقق على مستوى العالم.

إن الفشل الذي يمكن أن يلحق بالعالم هو أن تتصور أمريكا السلطة- مثلا- أنها بحصولها على أدوات السيطرة وآلة الحرب القادرة تستطيع أن تحقق تصالحا مع العالم بفرض نموذجها الحديث المتفوق على الجميع (على المستويات الأدنى كما ترى، أو مستويات الشر حتى لو لم تسمه كذلك)، نحن لسنا في حاجة إلى أن نرفض هذا النموذج الأقدر المتقدم أو أن نضيع وقتنا في تعداد عيوبه حتى نثبت قصوره، كما أننا لا نحتاج أن نعلى من شأن نموذجنا المتخلف وكأنه البديل القادر على أن يحل محل هذا النموذج المتغطرس الأعمى.

إن صح القياس على مسيرة تكامل النفس النامية، فإن الأمل ليس في تصالح يتنازل فيه الأضعف عن سيادته وقيمه مقابل رشاوى المعونات، و التلويح بمغريات الرفاهية، ولا أن يتنازل الأقوى والأقدر عن أدوات تفوقه فيوزع فيض ناتجه وآلياته على الأدنى والأضعف.

كما أن الحل لن يكون في استمرار ما يزعمون من حوار بين هذا وذاك، حوار ليس فيه عدل أو تكافؤ أو جدل حقيقي، رغم مزاعم التصالح والتسويات والسلام.

فكيف نستلهم الحل من التكامل الفردي؟

التكامل في عولمة إنسانية

هل يكون الحل في أن نحذو حذو النفس البشرية على درب التطور الدائم؟

هل يمكن أن تعطى الفرصة للقديم الأضعف وهو يحتفظ بنوعيه ما يميزه، ثم يتبادل في دورات يظلها العدل بانتظام مع الحديث القادر؟

هل نأمل أن يكون في ذلك فرصة ليستكمل الأول ما ينقصه، ويشتمل الثاني ما يحتاج إليه؟

- في مجال الطب النفسي المعاصر - للحصول على نوع من الصحة عن طريق تعاطي المهدئات المطمئنة، ومزيلات الألم إنما يقوّم نوعا من الصحة الخائفة، وهي التي تدرج لها شركاء الدواء ليل نهار

الوسطية التلغيفية: إن التركيز على ما يسمى الوسطية، هي شرع بعض الأدبان، بمكن أن يكون تعالجا ظاهريا أكثر منه تكاملا واعدا. مثال ذلك ما ذهب إليه كثير من التفسيرات التلغيفية لما يعنيه التنزيل الحكيم من وصف أمة المسلمين بأنها "أمة وسطا"

*الذات ليست كيانا مفقودا نبحث عنه فتجده، بل مشروع نسعى في اتجاهه لنكونه ونتشكل به فنجدده باستمرار.

التصالح مع الذات، لا يتم بطغيان وعي ظاهر على "لاوعي" كامن، ولا بطغيان النصف الطامع من المنع (النصف الأيسر في الشخص الأيمن مثلا) على النصف المتنحي، ولا بطغيان العقل الأحدث (الرمزي/التجريدي/ المنطقي/ البرهني) على العقل الأقدم (الطلي/الصورية/ذات المعرفة الطلية)

لا يمكن الأحدث أن يستوعب الأقدم بإلغائه أو تهميشه أو كبته، وإنما بالتبادل معه احترافا، واحتياجا، ثم بالتفاعل، ثم بالجدل، ثم بتخلق الأحدث منهم معا.

هل ثم سبيل أن يتم تحديث القديم الرخو، في نفس الوقت الذى يجرى فيه ترويض وتشذيب الجديد المتعطر؟

إن معطيات التكنولوجيا مؤخرًا تلوح بتعاون قد يسمح بمثل ذلك ولو لم تظهر تفاصيله فى الأفق القريب. دعونا نتصور أننا نستعد لتخليق عالم واحد جديد وأنا أيضًا فى حالة تخلق مستمر - Always in the - making ونحن نستعد لجدل قادم مع عوالم متكاملة أخرى تتخلق فى كواكب أخرى. هذا إذا لم يتماد الأقرى فيما هو فيه حتى ينتحر، ويأخذنا معه، وهم السابقون فى لعبة الانتحار الجماعى. إننا نرتقى بهم وبننا، إذا رحمانهم من أنفسهم، ولم نستسلم.

- [1] المقتطف من كتاب "تزييف الوعى البشرى، وإنذارات الانقراض" بعض فكر يحيى الرخاوى (الطبعة الأولى 2019) وصورته الأولى كانت مقالات فى (مجلة سطور) (من يوليو 1997 إلى يوليو 2006 + 1) والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 مدينة المقطم، و يوجد بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط

- [2] مجلة سطور: (عدد سبتمبر 2002)

آسف: قد يجد القارئ بعض التكرار لما جاء فى مقالة "الاعتمادية الإيجابية تحت عباءة أكبر" ص 75 وقد تركت التكرار عامداً ربما لأننى أريد التأكيد عليه.

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD050420.pdf>

*** **

نحن لسنا فى حاجة إلى أن نرفض هذا النموذج الأقدار المتقدم أو أن نصبح وقتنا فى تعداد عبوبه حتى نثبت قصوره، كما أننا لا نحتاج أن نعلو من شأن نموذجنا المتخلف وكأنه البديل القادر على أن يحل محل هذا النموذج المتعطر الأسمى.

الأمل ليس فى تصالح يتنازل فيه الأضعف عن سيادته وقيمته مقابل وشاوى المعونات، و التلويح بمغريات الرفاهية، ولا أن يتنازل الأقرى والأقدر عن أدوات تفوقه فيوزج فيض ناتجه وأليانه على الأدنى والأضعف

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معاً... نذهب أبعد

اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

- اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf

- اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3)

Dr. Jamel TURKY (Sfax - TUNISIA)

ARABPSYFOUND President